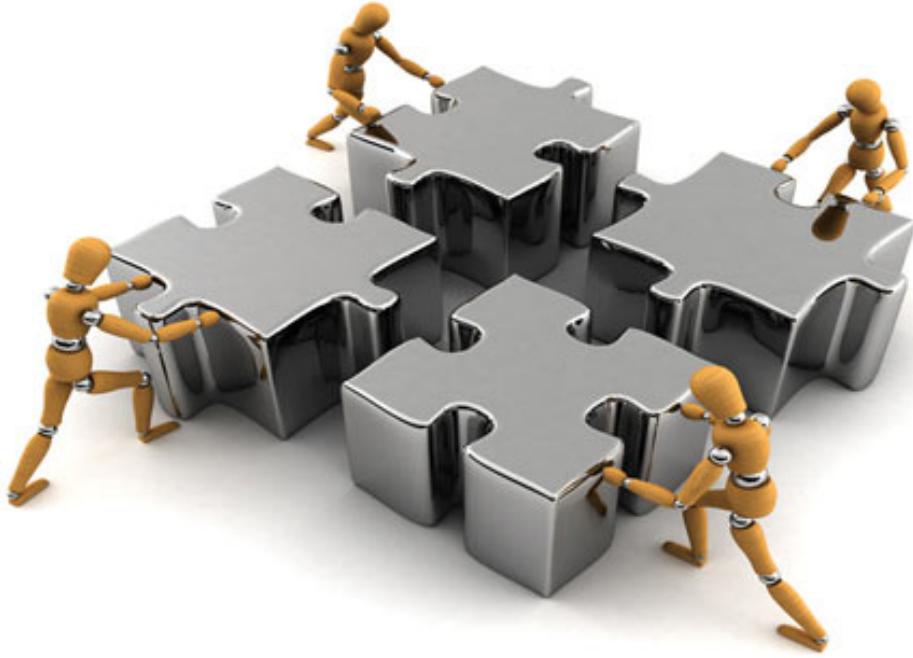


## إرادة التغيير



لكي يمضي الإنسان بمشروعه وأهدافه في الحياة، يجب أن يكون ذا إرادة وتصميم وعزيمة لا تلين. ويتجسد دور الإرادة وأهميتها في الموقف البشري في عملية الصّراع، وعملية التحدّي ومواجهة الصّعب والإخفاقات، والإنسان الذي يحمل الإرادة القوية الصادقة يحقق أهدافه، ويكرس جهده وإهتمامه وطاقاته من أجل تحقيق الأهداف.

إنّ مهمّة التغيير في الأُمّة لهي مهمّة صعبة، وتحتاج إلى إرادة وعزيمة، فالأُمّة التي لا تحمل إرادة التغيير، ولا تحمل روح الرفض للواقع المتخلّف، وترضي بالعيش تحت الظروف التي أفلتها من الظلم والفساد والفاقر، ولا تنزع إلى وضع أفضل، ومستقبل زاهر، لهي أُمّة فقدت إرادة التغيير، ولا يمكن أن تحقق النهوض والتحرّر من التخلّف والظلم والفساد السياسي والاجتماعي، ولن تتحقق التنمية الاقتصادية والتقدّم العلمي.

إنّ التغيير الذي ينشدّه الإسلام، هو التغيير الجذري الشامل الذي يبدأ من أعماق النفس البشرية، منطلقاً من تغيير المحتوى الذاتي للإنسان، فتغير الوضع الفكري والروحي والسلوكي للإنسان، هو منطلق التغيير الاجتماعي السياسي والاقتصادي والقانوني:

(إِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغَيِّرْ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد/ 11).

فبإرادة التغيير والعزم عليها يحدث التغيير، وإيجاد هذه الإرادة يحتاج إلى عمل متواصل من قبل الطليعة ذات الإرادة والعزيمة.

وقد وصف الله سبحانه إرادة المصلحين والمغيّرين بالعزيمة، وبذا وصف صفة الأنبياء بأزّهم أزواجاً العزم، لأنّهم أزواجاً إرادة قوية لا تلين ولا تتراجع. حملوا الرسائل بقوةٍ. وتحملوا مشاق التغيير والصراع بشدّ صورها. وبذا خاطب سيد المرسلين محمدًا (ص) فقال:

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) (الأحقاف/ 35).

ومن هذا المنطلق خاطب ﷺ نبيه يحيى بقوله:

(يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) (مريم/ 12).

احمل رسالة التغيير بقوّة عزيمة وإرادة لا تلين.

والقرآن يصف السير في طريق التغيير بالطريق ذات الشوكة، لذلك أوضح هذا المفهوم بقوله:

(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَزْهَرَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ  
غَيْرَ دَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحْقِقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ \* لِيُحْقِقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الدُّبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ  
الْمُجْرِمُونَ) (الأنفال/ 7-8).

ولكي يعمّق القرآن في نفس الإنسان المسلم إرادة التغيير، وقوّة العزيمة والثبات، يعرض صوراً من الطلائع ذات الإرادة الصلبة، كمثالٍ يُقتدي به، وتجربة إنسانية شاخصة، يعرض قدوة من النبيين والذين ساروا معهم في الطريق ذات الشوكة، يعرض ذلك بقوله:

(وَكَأَيْنَ مِنْ زَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلَ مَعَهُ رَبِّيْسُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَدُوا لِمَا  
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الصَّابِرِينَ \* وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا إِغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَصْرُرْنَا عَلَى الْفَوْرِ  
الْكَافِرِينَ) (آل عمران/ 146-147).

وفي مورد آخر يوجّه خطابه إلى متلقّيه كلمة ﷺ سبحانه، ويدعوهم إلى الثبات وقوّة الإرادة ويرفض أن تستولي عليهم الهزيمة. فالإنسان المهزوم في أعمق نفسه لا يقود عملية التغيير؛ ولن يكون إلا كمّا مُهملًا تجرفه حركة التأريخ. إنّه يخاطب الأجيال المسلمة بقوله:

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِزُوا وَأَزْتَمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران/ 139).